آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم
ينفع ولم يستقم والفا الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى
عنهم والباقيتان لان رؤية الباس مسببة عن مجي الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده
اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان
استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر
حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديد الحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة
وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة
ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت
آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت
وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت
والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئتا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف
فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي
آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم
ومنتهى استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج
اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك وابطال امرنا انا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع
وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه اي فاستقيموا في
اعمالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم
على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكاة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك
من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان
والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم الآخرة ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او القطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل
نزلت في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
اي في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من
الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته
وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد في الممكنات
ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر
للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات
والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت
بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة
في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت
سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ
بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات
للطالبين ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه توجها لا يلوي على غيره والظاهر
ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان
امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر
وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير والترتيب
للرتبة والاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث
ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما
والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين
منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلها بامر المطاع واجابة المطيع الطائع
كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار
كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم
وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة
واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء

الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول
له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا
عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم
الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع
جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير
عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح
عن المتأخرين داعيين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل
مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا
بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا
فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع
الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي
على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في
ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على
فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي
وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب
على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج
وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى
فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب
ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة على الهدى ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون تلك
الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة
وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤوها
اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها
الله او يظهر آثارا تدل عليها اقترفت بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب
ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق
كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في
الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا وما كنتم
تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة
الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم بما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا وعليه
رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله
ظنكم الذي ظننتم بربكم اردكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا واردكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد
به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهو الرجوع
الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان
يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء
اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول
اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد
خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على
القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي سيئات اعمالهم وقد سبق
مثله الذي كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان لهم فيها في النار دار الخلد
للجزاء او خبر محذوف فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة
جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)